خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا ميرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود و الإمام المهدي عليه السلام

يوم ٠٨/ ٠٣/ ٢٠١٣

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم* الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صرَاط الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْر الْمَغْضُوب عَلَيْهمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: ٢٠٢) ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٨٧)

سأتحدث اليوم حول هذين الدعاءين من القرآن الكريم، ولكن قبل ذلك سأقرأ عليكم مقتبسا من كلام المسيح الموعود عليه السلام حول حقيقة الدعاء وفلسفته، حيث يقول عليه السلام:

الذي يدعو الله تعالى عند المشاكل والمصائب ويلتمس منه حلّها بشرط أن يبلّغ الدعاء كماله ينال الطمأنينة والبحبوحة الحقيقية من الله تعالى. وعلى فرض أنه لم يحصل على مطلبه فإنه يُعطى من الله طمأنينة وسكينة من نوع آخر، ولا يبقى خائبا وخاسرا قط. وإضافة إلى النجاح تزداد قوته الإيمانية ويزداد يقينه. ولكن الذي لا يتوجه إلى الله تعالى بالدعاء يبقى أعمى ويموت أعمى. وفي بياني هذا جواب كاف على هؤلاء الأغبياء الذين يعترضون بسبب نظرتهم الخاطئة أن هناك كثيرا من الذين يفنون في الدعاء قولا وفعلا، ومع ذلك يبقون خائبين وخاسرين في أهدافهم. *(أي لا يفوزون بما يبتغون على الرغم من استغراقهم الشديد في الدعاء)*. ويكون مقابلهم شخص آخر لا يؤمن بالدعاء ولا يؤمن بالله تعالى ومع ذلك يتغلب عليهم وينال نجاحات عظيمة.

فالهدف الحقيقي من الدعاء هو الفوز بالطمأنينة والسكينة كما قلتُ. والذي ينظر إلى الأمور بنظرة سطحية يرى أن الداعي لم يحصل على مراده، ولكن المسيح الموعود عليه السلام يقول بأن الشرط الأول الذي وضعه الله تعالى للدعاء هو أن يبلّغ الداعي دعاءه مبلغ الكمال. والذي يدعو في الحقيقة لا ينظر إلى ظاهر الأمور، والذي يحظى بفراسة المؤمن ويدرك طبيعة العلاقة مع الله لا يهتم فقط بأنه نال مطلبه بل ينال طمأنينة وبحبوحة حقيقية.

يتابع المسيح الموعود عليه السلام ويقول: ليس صحيحا قط أن سعادتنا الحقيقية تكمن في الحصول على ما ندعو من أجله فقط، بل الله تعالى أعلم بسعادتنا الحقيقية ويعطينا إياها بعد الدعاء الحقيقي *(أي إذا كان الدعاء كاملا وصحيحا وصادقا وبحسب تعاليم الله تعالى فيعطي الله تعالى الداعي ما فيه سعادته الحقيقية)*.

يقول عليه السلام: والذي يدعو بروح الصدق لا يمكن أن يبقى خائبا، بل يهبه الله تعالى كما يشاء سعادة لا تُنال بالمال ولا وبالحكومة ولا بالصحة بل هي في يد الله وحده، غير أنها توهب نتيجة الدعاء الكامل فقط. فإذا كان في مشيئة الله يمكن أن ينال الصادق عند المصيبة بعينها لذة لا يحظى بها الملك وهو متربع على عرش الحكم، فهذا هو النجاح الحقيقي الذي يناله الداعون في نهاية المطاف.

أي الذين يدعون الله تعالى ينالون اللذة عند المصائب أيضا. فهذه بإيجاز حقيقة الدعاء وفلسفته وروحه، وهذا هو أسلوب تفكير المؤمن الحقيقي ويجب علينا أن نضع هذا الأمر في الحسبان دائما. فكما قال المسيح الموعود عليه السلام، لا بد من تبليغ الدعاء كماله حتى يحظى بمرتبة الإجابة. وعندما يبلغ الدعاء هذه المرتبة فإما أن يجاب كما يدعو به المرء أو تظهر للعيان بوادر إجابته أو يحظى القلب باطمئنان وسكينة يتلاشى بسببهما الحزن الذي كان يدعو بسببه وينال المرء طمأنينة خاصة ويشعر بأنه سيظهر ما فيه الخير له عند الله. فهذا يجب أن يكون أسلوب تفكير المؤمن الحقيقي دائما. ندعو الله تعالى أن يوفقنا جميعا أن نحتل هذه المرتبة. لا شك أن هذا التوفيق أيضا لا يُنال إلا بفضل الله تعالى لذا يجب أن ندعو الله تعالى للفوز به أيضا.

والآن أريد أن أوجه أنظاركم إلى دعاءين من القرآن الكريم، وقد اقتبستهما من الآيات التي نقرأها بكثرة وهي معروفة عند الجميع. الدعاء الأول هو: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: ٢٠٢)

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذا الدعاء بوجه خاص، كما نصح صحابته بقراءته؛ فكان الصحابة يرددونه باهتمام وانتباه خاص. وفي إحدى المناسبات نصح المسيح الموعود عليه السلام أفراد الجماعة أن يقرأوه بوجه خاص عند القيام بعد الركوع في الركعة الأخيرة من كل صلاة. كذلك وجّه الخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام أيضا الجماعة إلى هذا الدعاء في أكثر من خطبة، وفسره أيضا تفسيرا شاملا. فهذا الدعاء هام جدا، ويجب على الإخوة ترديده دائما. أما في الظروف الراهنة التي تسودها الفتنة والفساد في كل حدب وصوب في العالم فيبنغي أن نردده بكثرة.

المراد من "الحسنة"، ما لا ضرر فيه ولا عيب بل فيه الخير كله وفيه رضا الله تعالى. من المعلوم أن الأحمديين يواجهون في البلاد الإسلامية -لمجرد كونهم أحمديين- ظروفا توجب عليهم قراءة هذا الدعاء بوجه خاص. يريد معارضو الأحمدية أن يحرموا الأحمديين من كل نعمة في الدنيا حتى من حق العيش. ففي ظل هذه الظروف يجب أن ندعو الله تعالى أن احفَظنا يا ربنا – مقابل خطط الأعداء الذين يريدون أن يحرمونا من كل حسنة – حتى نحظى بكل حسنة بفضلك ورحمتك، وأن تكون أعمالنا في الدنيا سببا لنيل حسنات الآخرة نتيجة فوزنا برضاك، وأن ينال كل عمل من أعمالنا التي نكسبها في الدنيا رضاك. إن أعداءنا يريدون أن يضروا تجاراتنا فارزُقنا حسنة حتى يفشلوا في خططهم كلها. ويريدون أن يضروا أرزاقنا ليرُدّونا عن إيماننا فاعطِنا حسنة بأسلوب ننال بسببه رزقا طيبا وحلالا أكثر من ذي قبل، وألا يكون جيراننا من الذين يضروننا، وألا يؤذينا أهل حيِّنا، واجعلْ مدينتنا حسنة لنا، واجعل بلادنا حسنة لنا، وأن تعود على الذين يخططون ضدنا شرورهم. واجعل حكامنا رحماء وأتقياء وعادلين – علما أننا نرى في هذه الأيام في بعض البلاد أن الحكام أنفسهم يجلبون العذاب والدمار على الشعب – فوفِّق حكامنا والمسؤولين عنا أن يؤدوا حقوق العاملين تحتهم. وإذا كان أصحاب السلطة الحاليون غير قابلين للإصلاح في نظرك فأعطِنا حكاما يتحلَّوْن بالصفات المذكورة آنفا لكي تكون المنافع التي ننالها بواسطة الحكام حسنة لنا، وأن تكون كل منفعة من تلك المنافع مما يجلب لنا رضاك. ثم هب لنا أصدقاء مخلصين ومحبين، ومواسين في الآلام وممن يردون الحسنة بالحسنة. لقد بيّن سيدنا المصلح الموعود ﷺ هذا الموضوع بإسهاب.

لا شك أن في باكستان فئة من الناس الذين بسبب اتباعهم المشايخ فقط يحاولون إيذاء الأحمديين، ولكن هناك فئة كبيرة أخرى من الذين يؤدون حق الصداقة على خير ما يرام، فلا نقول أن كل شخص في باكستان سيئ، ولا نعيب كل شخص في بلاد تواجه فيه الجماعةُ معارضة شديدة. بل هناك أناس يؤدون حق الصداقة وهم متعاطفون معنا ويساعدوننا في كل موقف صعب وحرج.

قبل بضعة أيام كتب إلي أحد الإخوة الأحمديين الذي كان قد اختُطف في باكستان بأن المختطفين طلبوا منه مبلغا كبيرا فديةً، وتوفير ذلك المبلغ الباهظ لم يكن ممكنا. لقد سعى إخوته جاهدين لجمع المال لهذا الغرض ولكن توفير المبلغ الذي يطلبه المختطفون كان متعذرا. علما أن المختطفين هنالك متجاسرون جدا ويعرفون جيدا أن القانون لن يطالهم. فقالوا: حسنا، ادفعْ لنا المبلغ المتوفر عندك حاليا واجعل أحدا كفيلا للمبلغ المتبقي، ويجب ألا يكون الكفيل أحمديا. فكفله أحد أصدقائه من غير الأحمديين فأطلق المختطفون سراحه. من المعلوم أن هذا الصديق غير الأحمدي أيضا خاطر بحياته لأن المختطفين سوف يتقاضون بقية المبلغ منه. فهناك أصدقاء من غير الأحمديين الذين يقدمون التضحيات من أجل أصدقائهم الأحمديين. فعلى الرغم من وجودهم في تلك البيئة المسمومة المحيطة بهم يؤدون حق الصداقة، ويعارضون الإرهابيين والمشايخ المتطرفين. فمن حسنات الدنيا أن يحظى المرء بأصدقاء مخلصين.

كنت ذات مرة أقرأ تقريرا جاء من أحد مراكزنا في "مالي" حيث أُسست محطاتنا الإذاعية وبسببها تنتشر دعوتنا على نطاق واسع. والمشايخ المعارضون لنا يأخذون مساعدات مالية من بلاد إسلامية ولا سيما من بلاد عربية ليعرقلوا انتشار دعوة الجماعة ويضروا الأحمديين قدر ما يستطيعون. فهؤلاء المشايخ هددوا مبشرنا هنالك واتصلوا به هاتفيا وقالوا بأننا سنفعل بك كذا وكذا. إنهم يحيكون مؤامرات مختلفة ضدنا ويحثون الناس ألا يسمعوا إذاعة الجماعة الإسلامية الأحمدية لأنهم كفار بحسب زعمهم، ويتجاوزون كل الحدود في هذا الموضوع. فكانت معارضة الجماعة وعداوتها في تلك المنطقة على أوجها، وعندما علم بها بعض الناس من غير الأحمديين المثقفين والمتحضرين وذوي النفوذ في المنطقة أرسلوا إلى مبشرنا رسالة قالوا فيها: لا تخافوا ولا تهتموا بما يقول هؤلاء بل استمِروا في عملكم هذا لأن ما تبشرون به هو الإسلام الحقيقي ولن نسمح لأحد أن يمنعكم من ذلك. فالله تعالى يهيئ للجماعة أصدقاء مخلصين في كل مكان يلعبون دورهم في نشر دعوة الجماعة وإن لم يكونوا أحمديين بأنفسهم. فهذه أيضا حسنة كما قلت آنفا.

فكلما توسعنا في موضوع الحسنة اتضح لنا مفهومها أكثر فأكثر. فكلما سألتم الله من أفضاله ونعمه في الحياة الدنيا فكل هذه الأشياء تدخل في الحسنة. ومثالها في الحياة الشخصية فوز المرء بزوجة صالحةٌ أو زوج صالحٍ وأولاد صالحين، وحمايته من الأمراض. فباختصار، إن كل ما فيه خير لنا عند الله إنما هو حسنة من حسنات الدنيا. وهذا ما يتمناه المؤمن ويريد أن يرزقه الله تعالى كل ما كان طيبا ومفيدا له ظاهرا وباطنا ومن كل الجوانب والنواحي لأن الله تعالى هو أعلم بالغيب والحاضر كله، وهو الذي يستطيع أن يحكم ما هو الأفضل لنا ظاهرا وباطنا.

يمكن أن نخطئ نحن في اختيار شيء لكن الله ﷻ لا يمكن أن يخطئ أبدا في أي شيء، نحن نعدّ فلانا من الناس صديقا لنا في الظاهر لكنه نفسه يصبح ضارًّا. ففي قضايا كثيرة وثق الناس بأصدقائهم وجعلوهم شركاء في التجارة لكنهم في نهاية المطاف جلبوا لهم الخسائر، نحن نجعل أحدا حاكما ظنًّا منّا أنه سيكون مفيدًا ولكن نرى فيما بعد أنه أصبح ضارا. وبالإضافة إلى المشاكل على صعيد الجماعة نلاحظ في المعاملات اليومية أيضا أن تصرفات بعض الناس تؤدي إلى المشاكل والقلق. فإذا دعا الإنسان بدعاء ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة﴾ بصورة صحيحة وتقبّله الله فيُوَقّى الإنسان المشاكلَ في أمور الجماعة والأمور الخاصة أيضا، وليس ذلك فحسب بل يرث إنعامات الله ﷻ أيضا وينال رضوان الله ﷻ أيضا.

ثم قال ﴿وفي الآخرة حسنة﴾ أي آتنا في الآخرة أيضا ما هو حسنةٌ لنا أي آتنا هناك أيضا ما هو جيد ظاهرا وباطنا، ولقد وضح المصلح الموعود رضي الله عنه هذا الأمر في موضع وقال: يظن الناس أن في الآخرة حسنات فقط، كلا بل إذا داوم على هذا الدعاء وأجابه الله فعندئذ سيكون كل شيء هناك حسنةً.

فما معنى الحسنة هناك ظاهرا وباطنا؟ يقول حضرته في شرح ذلك:

صحيح أن الأشياء في الآخرة تكون كلها حسنة، إلا أن بعض الأشياء هناك حسنة باطنا لكنها سيئة في الظاهر. فلنأخذ جهنم مثلا، بحيث نعرف من القرآن الكريم أن جهنم وسيلةٌ لإصلاح الإنسان لكنها من ناحية أخرى سيئةٌ. فقد اختار الله كلمة حسنةً في الآخرة حتى نقول: يا إلهي، نرجو أن لا يتم إصلاحُنا بجهنم بل يتحقق بفضلك، فلا تُعطِنا في الآخرة أيضا ما هو حسنٌ باطنيا فقط، كما أن جهنم جيدةٌ باطنا لأن بواسطتها ينال الإنسان القرب الإلهي، لكنها في الظاهر سيئةٌ لأنها مكان العذاب. فالحسنة من كل النواحي في الآخرة هي الجنة فقط التي ظاهرُها أيضا حسنةٌ وباطنُها أيضا حسنةٌ. هنا ينبغي أن تعلموا أن الحسنة في الدنيا تؤدي إلى الحسنة في الآخرة أيضا، أي إذا كان كلُ شيء في هذا العالم حسنا ظاهرا وباطنا وأَكسبَ رضوان الله ﷻ فسوف تنالون في الآخرة أيضا حسنة ظاهرها حسنٌ وباطنها أيضا حسن. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في موضع بهذا الخصوص:

إن الإنسان بحاجة إلى شيئين من أجل إسعاد نفسه، أحدهما هو أن يبقى في مأمن مما يواجهه في الحياة الدنيا القصيرة من المصائب والشدائد والابتلاءات، وثانيا: أن ينجو من الفسق والفجور والأمراض الروحانية التي تُبعده عن الله تعالى. فالمراد من حسنة الدنيا هو أن يبقى الإنسان محفوظا -جسديا وروحانيا- من كل بلاء وخزي وحياةٍ قذرة. ﴿خُلق الإنسان ضعيفا﴾ فإذا أصيب الإنسان بألم في الظِفر فقط تصبح حياته لا تطاق... كذلك عندما تكون حياة أحد فاسدة - خذوا فئة المومسات مثلا تروا كيف مُلئت حياتهن ظلمة وهنّ كالبهائم دون أدنى انتباه إلى الله والآخرة- فحسنة الدنيا هي أن يحفظ الله العبدَ من كل بلاء ومن كل جانب سواء أكان متعلقًا بالدنيا أم بالآخرة. أما جانب الآخرة في الحسنة المذكور في ﴿في الآخرة حسنة﴾ فهو أيضا ثمرةُ حسنةِ الدنيا. فلو نال الإنسان حسنة الدنيا لكان في ذلك تفاؤلا حسنا عن الآخرة. إن الذي يقول بأنه لا حاجة لطلب حسنة الدنيا بل ينبغي طلب حسنة الآخرة فقط فهو مخطئ. إن الصحة الجسدية وغيرها أمور تريح الإنسان وبفضلها يستطيع أن يكسب شيئا للآخرة، ولذلك تسمَّى الدنيا مزرعة الآخرة، والحق أن الذي يعطيه الله تعالى الصحة والعزة والأولاد والعافية في الدنيا وله أعمال صالحة يُتوقع أن تكون آخرته أيضا حسنة. (الحَكم، مجلد١، رقم٨، عدد ١٩٠٣/١/٢م، ص٧٩)

وفي نهاية هذه الآية يقول الله ﷻ ﴿وقنا عذاب النار﴾ أي اُدعوا الله أن ينجيكم من عذاب النار، فلم يَلْفِتِ الانتباه إلى عذاب النار في الآخرة فقط، بل ينبغي أن ندعو لاتقاء النار في هذه الدنيا أيضا. ففي هذه الدنيا أيضا يكون عذاب النار، فهذا الدعاء يتضمن الدعاء لاتقاء عذاب النار في الدنيا والآخرة كلتيهما. فعذاب النار في هذه الدنيا أيضا على أنواع مختلفة، والمصائب والآلام إذا أراد الله ﷻ تصبح حسنةً. ومثال عذاب النار في هذه الدنيا هي الأوضاع المضطربة أيضا التي تسود في بعض البلاد كما ذكرتُ آنفا، بحيث لا يعرف الإنسان متى تصيبه طلقة نارية وهو جالس في البيت أو يتجول في السوق أو يحدث انفجار فيُجرَح أو يُقضى عليه، فالكثيرون يموتون في مثل هذه الأحداث، فإذا دعا الإنسان الذي يعيش في محيط يحدث فيه مثل هذه الأحداثُ

والأعمالُ أن يقيَه الله عذابَ النار، فيقيه الله استجابةً لدعائه من هذه الأمور. فدعاءُ ﴿وقنا عذاب النار﴾ هـذا يفيد اتقاء الشرور التي يخلقها الإرهابيون في العصر الراهن أيضا.

استشهد مؤخرا رجلٌ من أبناء الجماعة في كراتشي وكان عمره ٤٥ عاما وكان خرج من بيته للتسوق وبعد بضع دقائق انفجرت قنبلة، وأسفر هذا الانفجار عن مقتل ٥٠ شخصا كان من بينهم هذا الأحمدي أيضا.

ففي هذه الأيام يُشعل هؤلاء الإرهابيون النار في كل مكان، فثمة حاجة ماسة للدعاء أن يقينا الله منها. فالله ﷻ أعلم متى يحدث كذا في مكان كذا؟ لذا يجب علينا أن ندعو الله أن يجعل بقاءنا في البيت وخروجنا أيضا حسنةً بفضل منه، وأن يحمينا من كل أنواع العذاب في الدنيا وفي الآخرة أيضا. أقدِّم لكم مقتبسا من كلام المسيح الموعود عليه السلام يقول فيه:

إنما يحتاج الدعاء مَن كانت السبل كلها مسدودة في وجهه. ولا يصدر الدعاء إلا من قلب شخص لا يجد سبيلا سوى بابه ﷻ. (*وقد شرحت ذلك قليلا في الخطبة قبل الماضية عند ذكر سيدنا المصلح الموعود* رضي الله عنه) إذًا، فالدعاء: ﴿ربنا آتنا في الدنيا...﴾ إنما هو فعْل الذين اتخذوا الله وحده ربًّا لهم ويعلمون يقينا أن الأرباب الباطلة كلها بلا قيمة أمام ربهم.

ليس المراد من النار تلك التي ستكون يوم القيامة فقط، بل الذي ينال عمرا طويلا في هذه الدنيا يرى أن في هذه الدنيا أيضا آلاف أنواع النيران. يعرف أصحاب التجربة أنه توجد في هذه الدنيا أنواع النيران، فإن أنواعا مختلفة من العذاب والخوف وسفك الدماء والفقر والمجاعة والأمراض وخيبة الآمال ومخاوف الذلة والانحطاط وآلاف الآلام بما فيها المشاكل المتعلقة بالأولاد والزوج وغيرها والمشاكل في المعاملات مع الأقارب، كلُّها من أنواع النار. فالمؤمن يدعو الله دائما أن ينقذه من كافة أنواع النيران ويقول: ما دمنا قد أمسكنا بذيلك يا ربنا فأنقِذْنا من كافة الأعراض التي تجعل حياة الإنسان مُرّة وهي بمنزلة النار له. (الحَكم، مجلد٧، رقم١١، عدد ١٩٠٣/٣/٢٤م، ص٩-١٠)

والدعاء الثاني الذي نحن بأمس حاجة إليه وله أيضا أهمية قصوى هو في الآية الأخيرة من سورة البقرة، التي تلوتها عليكم، بحيث لفت الله انتباهنا إلى أن ندعوه قائلين:

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (البقرة: ٢٨٧)

فمن معاني النسيان أن لا ننجز عملا كان واجبا علينا إنجازه، فنحن لم نُهمله عن قصد بل قد نسينا، والثاني أن لا نعير أي عمل الأهمية التي تجدر به ونقول هذا عمل بسيط ولا بأس من عدم إنجازه. فعلَّمَنا أن ندعو أن يقيَنا الخطأَ والنسيان. كما يحدث أيضا أن هناك عملا مهمًّا لكننا لا نعرف أهميته ولا نعرف أنه إذا لم ننجزه كم يترتب عليه الفتور في رقينا الروحاني وعلاقتنا بالله ﷻ. فيا ربنا أنقذنا من ارتكاب الأخطاء مثلها، وإذا صدرت منا أخطاء فلا تؤاخذنا عليها، ولا تؤاخذنا على عمل قمنا به بطريق غير سليم ولا تبطش بنا على عمل لا يجوز لنا ارتكابه. بل اغفر لنا أخطاءنا وأنقذنا من تأثيرها السيئ ومن غضبك.

ولكن إذا استمررنا في ارتكاب الأعمال الخاطئة و لم ننتبه إلى إصلاح أنفسنا وإلى جانب ذلك استمررنا في هذا الدعاء أيضا فلن يكون دعاؤنا دعاء حقيقيا، بل سيكون استهزاء بالدعاء. من المعلوم أننا ندعو الله تعالى للحصول على الخير لأنفسنا وليس لنختبر الله. لذا إذا كانت أعمالنا حسنة يكون دعاؤنا أيضا دعاء حقيقيا. ويجب أن تبلّغوه مبلغ الكمال كما قال المسيح الموعود عليه السلام. ثم يقول الله تعالى:

"ربنا لا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا"، أي لا تحمّلنا عبئا حُمِّله الآخرون وبسببه استحقوا العقاب.

هنا يجب أن يكون معلوما أنه لم يَرد هنا أن الصلوات أو الأوامر القرآنية الأخرى هي أعباء ثقيلة ومستعصية الحمل، بل قال الله تعالى من قبل: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها. أي أن الله تعالى يحمِّل الإنسان المسؤولية بحسب قدرته فقط. المراد من دعاء عدم تحميل الأعباء هنا هو ألا تنزِّل علينا يا ربنا عقوبات أُنزلت على الذين كانوا من قبلنا بسبب جرائمهم، وألا تصدر منا أخطاء صدرت ممن كانوا قبلنا فهلكوا بسببها. ولكن إذا استمررنا في ارتكاب الأخطاء ثم توقعنا ألا نعاقَب فهذا مستحيل لأن ذلك يعارض قانون الله العام. إذًا، إن هذا الدعاء والسعي لاجتناب الأعمال السيئة ينقذ الإنسان من العقوبة. لقد سُلّط على الذين سبقوا بسبب أخطائهم حكوماتٌ لم تهتم بحقوقهم فأنقِذنا يا ربنا من الحكام الذين هم بمنزلة العقوبة لنا فنعاقب بهذه العقوبة نتيجة سُخطك علينا. فإذا كان ذلك نتيجة سخط الله تعالى فلا بد من الدعاء بالألم والحرقة الشديدة. أما إذا كان امتحانا فقط فندعوك يا ربنا أن تخفِّف علينا هذا الامتحان أيضا.

ثم يعلّم الله تعالى دعاء آخر: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ في بعض الأحيان تؤثر على الإنسان عقوبة الآخرين أيضا بشكل من الأشكال، لذا فقد علّم الله تعالى دعاءً لاجتناب ذلك أيضا أن ندعوه: يا ربنا أنقِذْنا أيضا من تأثير العقوبة الناتجة عن أخطاء الآخرين. نرى أنه يُقتل في العمليات الإرهابية التي ينفذها المتشددون أناس لا يريدون قتلهم. إنهم يريدون قتل فئة معينة ولكن كل من يذهب إلى تلك الأماكن يُقتل بمن فيهم الأطفال الأبرياء أيضا.

يقول سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه بأن المراد من وضع شرط: "ما لا طاقة لنا به" هو أن الأمر هنا لا يتعلق بالسخط بل ذُكرت هنا ابتلاءات دنيوية. من المعلوم أن الإنسان لا يستطيع أن يتحمل سخط الله مهما كان قليلا، أما المصائب البسيطة فيمكن احتمالها. فهذا الدعاء يتعلق بالعقوبة الروحانية بمعنى أننا لا نستطيع أن نتحمل سخط الله بحال من الأحوال، ولكن عندما ذُكرت الابتلاءات الدنيوية فعلّمنا الله دعاء بأننا لا نعترض على المصائب العادية ولا نتوقع أن نمشي على طريق مفروش بالورود لأن الله تعالى يقول بأنه يمتحن الناس ولكن ندعو الله تعالى ألا يكون ذلك الابتلاء مدعاة لسخط الله وألا يكون فوق طاقتنا.

أما الابتلاءات التي لا تكون سببا لسخط الله فلا بد منها في هذه الدنيا. المؤمن لا يتمنى الابتلاء أبدا غير أن الله تعالى يقول بأنه يبتلي المؤمنين لذا علّمهم الدعاء أيضا ليكون الابتلاء خفيفا. ثم قال تعالى: "واعف عنا" أي أنقذنا من التأثيرات السيئة لأعمالنا التي صدرت منا. "واغفر لنا" أي استُر أعمالنا السيئة وكأننا لم نرتكبها.

من معاني العفو الرحمُ أيضا. فإذا نقص الإنسان شيءٌ لا يمكن سد الخلل إلا بتزويده به. فقد أشار الله في قوله "فاعف عنا" إلى أنْ هيِّئ لنا بفضلك ورحمتك ما يغطي النقص في أعمالنا وأفعالنا. "وارحمنا"، أي ارحمْنا من الأخطاء التي صدرت منا وتمثّل عرقلة في سبيل تقدمنا أو يمكن أن تؤثر سلبا على تقدم الجماعة، وأزِلْ جميع العقبات في طريق التقدم والازدهار.

﴿أنت مولانا﴾، أي: أنت ولينا، والناس سوف ينسبون تقصيراتنا إليك. اعلموا أن جماعتنا هي الجماعة الوحيدة اليوم التي تدّعي أنها هي الجماعة الربانية، وعندما يحصل تقصير من أحد أبنائها ينعكس هذا على الجماعة كلها سلبيًا في بعض الأحيان، فكأننا ندعو الله تعالى: ربنا سيقول الناس إن هؤلاء يدّعون أنهم الجماعة الربانية، ولكن انظروا إليهم فهم أيضًا هدف للمصائب وعرضة للعقوبات، فيا مولانا وسيدنا، إننا عبيدك، فارحمنا واستر عوراتنا وتقصيراتنا، لكي لا ينسبوها إليك قائلين إن هؤلاء كانوا يطلقون دعاوي عريضة، ولكنها دعاوي فارغة، والحق أن لا علاقة لهم بالله تعالى، مما سينعكس سلبيًا على جهودنا الدعوية ويعرقلها، فيُحرَم الناس الهدى، ولذلك نسألك رحمتك، معترفين بأخطائنا وتقصيراتنا، وطالبين منك العفو والمغفرة.

﴿فانصرنا على القوم الكافرين﴾، أي: انظر إلينا برحمة وتحنن، واكتب لنا الغلبة على القوم الكافرين الذين يتصرفون هذه التصرفات ويعيقون سبيل رقي الإسلام، ووفّقْنا لنشر اسمك ورسالتك في العالم.

علمًا أن غير المسلمين أو غير المؤمنين بالله ليسوا وحدهم الذين يتحدثون ضد الإسلام اليوم، بل هناك شريحة بين المسلمين يقفون سدًا في سبيل انتشار دعوة الإسلام، بل إن الذين يشوهون وجه الإسلام هم أكثر عددًا بين المسلمين، ويعرقلون سبيلنا في نشر دعوة الإسلام في العالم غير الإسلامي. إن الفئات المتطرفة الناشئة باسم الإسلام والتي تقدم إسلامًا متطرفا، تؤثر على دعوتنا سلبيًا، لذا فعلينا أن ندعو الله تعالى بإلحاح وقوة بهذا الخصوص أيضًا.

ثم في هذه الأيام هناك حاجة ماسة لترديد دعاء عُلّمه المسيحُ الموعود عليه السلام بالوحي وهو: "ربِّ كلُّ شيء خادمُك، ربِّ فاحفَظْني وانصرني وارحمني"، أي ربنا احفظنا وانصرنا وارحمنا وآتنا حسنة في الدنيا والآخرة. علمًا أن الله تعالى قد نبّهني أيضًا خصيصا إلى ترديد هذا الدعاء. لذا فعلى كل أحمدي أن يقوم بهذا الدعاء خاصة. حفظ الله تعالى كل مسلم أحمدي من كل شر، وآتانا حسنة في الدنيا وحسنة في الآخرة، وثبّتنا على الصالحات، وعفا عن زلاتنا ومعاصينا، وحفظَنا منها في المستقبل دائمًا. وأقول للمسلمين الأحمديين في باكستان خاصة بأن يولوا هذا الأمر أهمية خاصة، محاسبين أنفسهم باستمرار، وأن يقوموا بهذه الأدعية في صلواتهم بوجه

خاص. على كل مسلم أحمدي أن يقوم بالدعاء بحيث يبلغ دعاؤه درجة الكمال كما قال المسيح الموعود عليه السلام. وفّقنا الله لذلك. آمين.

كما قلت آنفًا، لقد استُشهد أحد الأحمديين في عملية تفجيرية في كراتشي. كما أن هناك أخا لنا آخر توفي في باكستان وكان خادمًا قديمًا للجماعة، وسوف أصلي عليهما صلاة الغائب بعد الصلاة. أقرأ على أسماعكم بإيجاز معلومات عنهما.

أما الشهيد فاسمه مبشر أحمد عباسي ابن السيد نادر بخش عباسي، وقد استُشهد في ٢٠١٣/٣/٣. كان الصحابي حضرة تونغر علي عباسي رضي الله عنه هو أول من دخل في الأحمدية من أسرة الشهيد وهو أبو جده، حيث بايع على يد المسيح الموعود عليه السلام. كانت أسرته من قرية "علي بور كهيرا" من ولاية "أُتَر برديش" في الهند. اثنان من أعمامه من دروايش قاديان، وهما السيد محمد صادق عارف والسيد محمد يوسف الغجراتي. جد الشهيد كان موظفًا في الشرطة الهندية، وبعد التقاعد نذر حياته لخدمة الدين، وخدم الجماعة في قاديان بصفته مفتش بيت المال.

وُلد الشهيد مبشر أحمد عباسي في غوجرانواله عام ١٩٦٨. كان سنه ٤٥ عامًا. انتقل إلى كراتشي من أجل العمل عام ١٩٨٢، وكان وقت الاستشهاد يعمل هنالك في مصنع للثياب. في ٢٠١٣/٣/٣ وقعت العملية التفجيرية بعد صلاة المغرب في منطقة "عباس تاون" بكراتشي، وأسفرت عن مقتل ٥٠ شخصًا وجرحى كُثر. كان الشهيد ساكنًا في "عباس تاون"، وقبل حادث الانفجار بخمس دقائق خرج من البيت لإحضار بعض الأدوية، فصار في عداد الضحايا. يقال إن الشهيد عباسي كان قريبًا جدًا من مكان الانفجار واستُشهد على الفور، ولم يعثر على جثته في أول الأمر، وبعد محاولات اتصال بالهاتف عثروا عليه في إحدى المستشفيات.

كان الشهيد عباسي لين الطبع وبشوشًا جدًا. كان لطيف المعشر مع أولاده وزوجته وإخوته وأخواته. لقد ترك وراءه بالإضافة إلى أرملته بنتًا اسمها خديجة وسنها ١٢ عامًا، وابنًا اسمه نادر بخش، وهو في العاشرة من عمره، وثلاثة من الإخوة والأخوات.

والجنازة الثانية هي لأحد خدام الجماعة القدامى، وهو الدكتور سلطان محمود شاهد. توفي في ٢٠١٣/٣/٣ بعد أن بلغ ٩٠ عامًا. إنا لله وإنا إليه راجعون. وُلد المرحوم في ١٩٢٣/١٠/١٦ في "شاه مسكين" بمحافظة شيخوبوره. كان والده حضرة سيد سردار شاه من أصحاب المسيح الموعود عليه السلام، وكان قد نذره في سبيل الله حتى قبل ولادته.

حصل المرحوم على شهادة البكالوريوس في العلوم من "الكلية الإسلامية" بلاهور، ونال شهادة الماجستير في الكيمياء من الكلية الإسلامية بعليغره. ثم حضر إلى سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه، فعيّنه محاضرا في كلية تعليم الإسلام بقاديان. ومن مفاخره أنه كان من أول الأساتذة في هذه الكلية. وظل يدرس في كلية تعليم الإسلام بعد انتقالها إلى لاهور ثم ربوة بعد الهجرة (من قاديان). في عام ١٩٥٦ وفد إلى لندن ونال الدكتوراة في الكيمياء

العضوية من جامعة لندن عام ١٩٥٨. وبعد رجوعه إلى ربوة ظل يدرس الكيمياء في كلية تعليم الإسلام حتى عام ١٩٦٣. ثم ذهب في ذلك العام إلى لندن ونال شهادة بعد الدكتوراة من جامعة لندن عام ١٩٦٤. وصار عضوا في المعهد الملكي للجمعية الكيميائية. كما خدم من عام ١٩٦٤ إلى ١٩٧٨ في كلية تعليم الإسلام بربوة بصفته بروفيسورا، ورئيس قسم الكيمياء، والعميد المسؤول (لبعض الوقت). وفي عام ١٩٧٢ لما قامت الحكومة الباكستانية بمصادرة كلية جماعتنا وغيرها من مؤسساتها التعليمية، نُقل المرحوم من ربوة إلى الكلية الحكومية في روالبندي. وعمل عميدا في كلّيّتين، حتى تقاعد عام ١٩٨٦. ثم نظرًا إلى تدهور الدراسة في الكلية والمدارس الحكومية في ربوة قام بإنشاء مدارسه الخاصة، من الروضة إلى الابتدائية وحتى الثانوية، وظلت مدارسه الخاصة هذه تقدم الخدمات التعليمية على ما يرام وتعنى بالطلاب إلى أن أنشأت الجماعة مدارسها الخاصة في ربوة.

كان الدكتور المرحوم بسيط الطبع ومواسيًا جدا، يسدّ حاجات المحتاجين ويعين الناس على نوائبهم. كان يدرِّس مجانًا مَن لم يستطع دفع الرسوم. كان يعامل الجميع بلطف ومحبة. كان يقدّم مشورة مخلصة، حيث كان سديد الرأي جدًا. وهو الذي أنشأ مبنى قسم العلوم في جامعة "نصرت" للفتيات بربوة في عهد الخليفة الثالث رحمه الله.

بعد تأسيس باكستان عمل المرحوم سكرتيرا للإصلاح والإرشاد بلاهور. وخدم كقائد خدام الأحمدية بلندن ما بين ١٩٥٦ و١٩٥٨، كما خدم في هذه الفترة نفسها سيكرتيرا للمال لجماعتنا بلندن. كان شديد الولاء للخلافة.

لقد ترك وراءه بنتين وابنين.

كان بسيطًا في تدريسه أيضًا. لقد تعلمتُ أنا أيضا على يده بضعة أيام. كان يدرس الطلاب كأنهم أصدقاؤه.

كان بسيط الطبع جدًا، فقد كتب لي بعض الإخوة وهو السيد مجيب أصغر: ذات مرة كنت أقوم بالخدمة في دار الضيافة في ربوة بباكستان (في أيام الجلسة السنوية)، فجاء لإحضار الطعام لبعض الضيوف، وأراد الخدام إعطاءه الخبز الساخن وقالوا له أين الثوب الذي تضع فيه الأرغفة. قال لم أحضر أي ثوب، ثم مدّ إليهم طرف قميصه وقال ضعوها فيه لا بأس. فأخذها في طرف قميصه دون أن يشعر بأي حرج في المشي حاملاً إياها هكذا، إذ فكّر أنه يحملها ليطعمها ضيوف المسيح الموعود عليه السلام. فكان شديد البساطة فعلاً.

رفع الله درجاتِه، وتغمده بمغفرته، ورفَع درجاتِ الشهيد أيضًا، وألهمَ ذويهما الصبر والهمة والسلوان، آمين.